القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الدعوة إلى الإسلام

١٧

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه ، وَلاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّه ﴾ .

(قرآن كريم)

١

دخلَ النّاسُ فى دينِ اللّهِ بعدَ صُلحِ الْحُدَيْبِيَة ؛ ولما كانَ اللّهُ قد بعثَ محمّدا ﷺ رسولاً إِلَى النّاس كافّة، رأى الرسُـولُ أن يَبعـثَ رُسلَه إلى ملـوكِ البِـلادِ المُجاورة ، يدعُوهم إلى الإِسـلام . وفـى ذاتِ يوم ، كتب رسائلَ إلى الملوك ، فقال له أصحابُه :

ـ يارسول اللّه ، إنهم لا يقرءون كتابًا إلا إذا كان مختوما .

فصنع رسولُ اللّهِ ﷺ خاتمًا ، نُقِشَ فيه : « محمَّـدٌ رسولُ اللّه » ، وخُتمتِ الرّسـائلُ بهـذا الخَـاتَم ، ولم يبق إلا الرِّجالُ الّذين يذهبونَ بها إلى ملوكِ العـالَم . كان رسولُ اللّه يعرفُ طبيعةَ النـاس ، فإنـه يعلـمُ أن الّذيـن سيُرسِلهم إلى مكـان قريـبٍ يَرْضَـوْن ، وأمَّـا

الّذين سيُرسلهم إلى مكانٍ بعيدٍ فإنهم يكرهُون ذلك ويرفُضُون ، فجمع أصحابَه ، وقال لهم :

ـ أيُّها الناس ، إن اللّه بعثنى رحمةً وكافّة (أى لجميع الناسِ) فأدُّوا عنّى رحمكُم اللّه ، ولا تختلفوا علىَّ كما اختلفَ الحَواريّونَ على عيسى بن مريمَ عليه السلام .

فقال أصحابه :

ـ وكيفَ اختلفَ الحواريّونَ على عِيسَى عليه السلامُ يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ دعاهم لمثلِ ما دعوتُكم له ، فأمّا من بعثَه مَبعثًا قريبا فرضِيَ وسلَّم . وأمّا من بَعثَه مَبعثًا بعيدا ، فكَرِه وأبى ، فشكا ذلك عيسى عليه السلامُ إلى ربِّه عزَّ

وجلّ ، فأصبحُوا وكلُّ رجل منهم يتكلّمُ بلغةِ القومِ الذى وُجِّه إليه .

ولم يختلفْ صحابةُ محمَّدٍ ﷺ ، كما اختلف الحَوارِيّونَ على عيسى عليه السلام ، بل قَبِلوا أن يذهبوا إلى حيثُ يُرسلُهمْ رسولُ اللّه .

٢

أرسلَ محمَّد ﷺ دِحْيَةَ الكَلْبِيَّ إلى قيصرَ الرومِ ، بكتابٍ يدعوه فيه إلى الإِسلام ، فذهب دِحْيَةُ إلى الشّام ، واتّجه إلى قصرِ الملك ، وطلب مقابَلته ، فلما أذِن له بالدُّخول ، قال رجالُ القصرِ لدحية :

ـ إذا رأيتَ الملكَ فاسجدْ له ، ثم لا ترفعْ رأسَك أبدا حتى يأذنَ لك .

فقال دِحْية :

- لا أفعلُ هذا أبدا ، ولا أسجدُ لغيرِ اللّه .

قالوا له :

- إذنْ لا يأخذُ كتابَك . ودخل دِحْية على الملكِ مرفوعَ الرّأس ، لم يسجدْ له ، وقدَّم له كتابَ محمد ، فلما رآه قيصرُ لا يسجُدُ له عَجِب ، وأخذَ منه الكتاب ، ودعا التّرْجُمانَ ، فقرأه له ، فإذا محمَّد ﷺ يدعوه إلى الإسلامِ ، فأَراد أن يعرِف مَنْ مُحمَّد ؟ وما صفتُه ؟ فقال لمن عندَه :

- انظُروا لنا مِنْ قومِه أحدًا نسألُه عنه .

فراحُوا يبحثون فى أسواقِ الشّام ، فوجدوا أبا سفيانَ يتاجرُ فى أسواقِ غزّةَ ، مع رجال من قريش ، فأخذوه ، وذهبوا به وبمن معه إلى قصر الملك ، فى بيتِ المقدس .

دخل أبو سفيانَ ورجالٌ من قريشٍ على الملك ، فإذا به جالسٌ وعليه التاج ، وعظماءُ الرّوم حولَه ، فقال لتَرْجمانه :

- سَلْهم : أيُّهم أقربُ نسبا إلى هذا الرجل الّذى يزعم أنه نبىّ ؟

فقال أبو سفيان :

- أنا أقربُهم نسبًا إليه .

فقال له قيصر :

- كيف نسبُ هذا الرَّجلِ فيكم ؟

فقال له أبو سفيان :

- هو منا ذو نسب .

- هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه ؟

- لا .

– هل كنتم تتّهِمُونَه بالكَذِب على الناس ، قبل أن يقولَ ما قال ؟

– لا .

– كيفَ عَقْلُه ورأْيُه ؟

قال أبو سفيان :

– لم نعب عليه عقلاً ولا رأيًا قطّ .

– فأشرافُ النّاس يتّبعونَه أم ضُعَفاؤهم ؟

– بل ضُعَفاؤهم !

– فهل يَزِيدُونَ أو يَنقُصون ؟

– بل يَزيدون !

– فهل يغدِرُ إذا عاهَد ؟ : « لا » .

– فهل قاتلتموه ؟

– نعم .

ـ فكيف حربُكم وحربُه ؟

ـ دُوَلٌ وسِجال ، ننتصرُ عليه مرة ، وينتصرُ علينا مرة .

ـ فَما يأْمُرُكُم به ؟

ـ يأمرُنا أن نعبدَ اللّهَ وحْدَه ، ولا نشركَ به شيئا ، وينهانا عما كان يعبُد آباؤنا ، ويأمرُنا بالصَّلاةِ والصَّدقَة ، ويأمرُنا بالوفاءِ بالعَهد ، وأداء الأمانة .

لم يكذِبْ أبو سفيان ، على الرّغم من أنه كان يكرهُ محمَّدا ﷺ ، لأنَّ ناسًا من قريشٍ كانوا واقفين ، وخَشِيَ أن يُعرفَ عنه أنه كذّاب .

وقال له قيصر :

ـ إنه نبيّ ، وكنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظنّ أنه فيكم ، ولو كنتُ عندَه لغسلت عن قدميه .

فخرج أبو سفيان من عندِه ، وهو يَعْجَبُ من أمرِ مُحمَّدٍ ﷺ ، الّذى ارتفع شأنُه .

وكتب رسولُ اللّه ﷺ ، إلى كِسْرَى ملكِ فارس ،

كتابا جاء فيه :

« بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم من محمد رسول اللّه ، إلى كِسرى عظيمِ فارس . سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، وآمنَ باللّهِ ورسولِه ، وشهِد أن لا إله إلاّ اللّهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . أدعوكَ بدِعايةِ اللّه ، فإنى أنا رسولُ اللّهِ إلى النّاس كافَّة ، لأُنذرَ من كان حيّا ، ويَحِقَ القول على الكافرين ، أسْلِمْ تسلَم ، فإن أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوس (أى الّذين هم أتباعك) .

وأعطَى رسولُ اللّه الكتابَ عبدَ اللّه بن حُذافة ، وأمره أن يذهبَ به إلى كِسْرى . فسافر عبدُ اللّه ،

حتى إذا أتى فارسَ ذهب إلى قصرِ الملك ، والتمسَ مقابلَته . فلما أُذن لـه دخل ، وقـدَّم كتـابَ رسـولِ اللّه إلى الملك .

قرأ كِسْرَى الرسـالة ، فلما وجـدَه يبـدأ : « من محمدٍ رسولِ اللّه إلى كِسرى عظيم الفُرْس » غَضِـبَ وثار ، لأنَّ محمَّدًا ﷺ بـدأ الكتـاب بنفسـه ، ومـزّق الكتاب . فخرج عبدُ اللّه بن حُذافَة من عِنده ، وسافرَ إلى المدينة .

وقـابل عبدُ اللّه رسـولَ اللّـه ﷺ ، وأخـبره أنَّ كِسرَى مزّق رسالتَه .

فقال رسولُ اللّه : « مَزّق اللّهُ مُلكَه » .

وصَمَت رسولُ اللّه قليلا ، ثم قال :

ـ لَتفْتَحَنَّ عِصابـةٌ من المسـلمينَ كنوزَ كِسـرَى ، التى فى القصر الأبيض .

وصَدق رسولُ اللّه ، ففى عهدِ عُمرَ بنِ الخطّاب ، انتصرَ المسلمونَ على الفُرس ، وفتح سعدُ بنُ أبى وقاص مَدَائِنَ فارس ، واستولَى على كنوزِ كِسْرَى ، فى القصرِ الأبيض .

٤

وأَرسَلَ رسولُ اللّه إلى النجاشيِّ كتابا ، فخرج به عمرُو بنُ أميَّة ، وكان المسلمونَ الّذين هاجروا إلى الحبشةِ عنده يُكرِمُهم ويَحْضُرُونَ مجلسَه ، فلما جاءَ عمرُو بن أميةَ بكتابِ رسولِ اللّه ، أخذه النجاشيُّ وقَبّله ، ووضعه على رأْسِه وعينيه ، ونزل عن سريرِ مُلكه تواضعا ، ثم أسلم ، وشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمدًا رسولُ اللّه .

وكتب إلى رسولِ اللّهِ ﷺ :

« إلى محمَّدٍ رسولِ اللّهِ ، من النجاشيِّ أَصْحَمَة .

السّلامُ عليك يا نبيَّ اللّه منَ اللّه ، ورحمةُ اللّهِ وبركاتُه ، الّذى لا إله إلاّ هو ، الّذى هدانى للإِسلام . أما بعد : فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ اللّه ، وقد قرَّبْنا ابنَ عمّك وأصحابَه (يعنى جعفرَ بنَ أبى طالب ، ومن معه من المسلمين) ، فأشهدُ أنَّك رسولُ اللّه ﷺ صادقًا مُصَدَّقا ، وقد بايعتُك ، وبايعتُ ابنَ عمّك ، وأسلمت على يدِه للّه ربِّ العالمين .

٥

وأرسلَ رسولُ اللّه ﷺ إلى مصرَ ، حاطبَ بن أبى بلَتعة ، ليُسلّم إِلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، الكتابَ الذى يدعوه فيه إلى الإِسلام . فلما أخذ حاطبٌ الكتاب ، سار إلى منزلِه ، وودَّع أهله ، وركِب جَمله ، وسافر فى الصحْراء ، حتى إذا بلغَ مصر

ذهب إلى الإسكندَريَّة ، فقيل له :

- إنه في مجلسٍ مُشْرِفٍ على البحر .

فركِبَ حاطبٌ سفينة ، وحاذَى مَجْلِسَ الْمُقَوْقِس ، وأشار بالكتابِ إليه ، فلما رآهُ المقوقِسُ أمرَ بإحضارِهِ بينَ يديه . فدخل حاطِبٌ عليه ، وأعطاه الكتاب ، فقرأ فيه : « بسمِ اللّه الرحَمنِ الرَّحيم . من محمَّدٍ بن عبد اللّه إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، سلامٌ على مَنِ اتَّبعَ الهدى . أما بعد ، فإنى أدعوكَ بدعايةِ الإسلام . أسلِمْ تسلَم يُؤْتكَ اللّهُ أجرَك مرَّتين : (أجْرًا لأنَّك صدَّقتَ عيسى عليه السلام ، وأجرًا لأنَّك صدَّقتَ محمَّدًا ﷺ) . فإن تولَّيتَ فإنما عليك إثمُ القِبط .

﴿ ويأهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سَواء بيننا وبينكم ، ألاَّ نعبدَ إلاّ اللّه ، ولا نُشركَ به شيئا ، ولا

يَتَّخِذَ بعضُنا بعضًا أربابًا من دونِ اللّه ، فإنْ تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ .

فقال المقوقِس :

- ما منَعه إن كان نبيّا أن يدعوَ علَى من خالفَه أن يُسَلِّطَ عليهم ؟

فقال له حاطب :

- ألستَ تشهدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ رسولُ اللّه ، فما له حيثُ أخذه قومُه ، فأرادوا أن يقتُلوه ألاّ يكونَ دعا عليهم أن يُهلكَهم اللّهُ تعالى ، حتى رفعه اللّهُ إليه ؟

قال له المقوقس .

- أحسنتَ ! أنت حكيم جاء من عندِ حكيم !

قال حاطب :

- إن هذا النبيَّ ﷺ دعا النّاس ؛ فكان أشدُّهم عليه قريش ، وأعداهم له يَهود ، وأقربُهم منه النّصارى ، ولعمرى ما بشارةُ موسى بعيسى عليهما الصّلاةُ والسّلام ، إلا كبشارةِ عيسى بمحمّدٍ ﷺ ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن ، إلا كدعائك أهلَ التّوراةِ إلى الإنجيل .

وأكرم المقوقِس حاطبا ، وعند عودتِه بعث إلى رسولِ اللّه ﷺ بجاريتين : ماريَة القبطية وسِيرين ، وبثيابٍ كثيرة ، وهدايا عظيمة .

وعاد الرُّسُل إلى محمّدٍ ﷺ ، وبعد سنواتٍ قليلة دخلت فارسٌ والشّامُ ومصرُ فى الإسلام ، وهى البلادُ التى أوفد إليها رُسُله ، يدعونَ ملوكَها إلى دينِ اللّه .